

## الجودي

### جبل أرات

#### الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَبَسِّمَاهُ أَفْلَحِي وَغَبِصِ الْمَاءَ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [هود: ٤٤].

#### \*\* الأحداث التي وقعت في المكان:

دعا آدم ذريته إلى عبادة الله الواحد، فكان أول نبي لبني البشر. استمر أبناء آدم<sup>(١)</sup> وأحفاده من بعده على عهدهم لدعوته، والتمسك بها، ثم خلف من بعدهم خلف نسوا الله، وعبدوا آلهة متعددة أسموها<sup>(٢)</sup> بعدة أسماء: ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا.. يسجدون لها ويدعونها، ويقدمون لها القرابين. شاء الله أن يعيد الناس إلى عبادته، وترك عبادة هذه الأصنام، فبعث إليهم نوحاً<sup>(٣)</sup> رسولاً من عنده، ليعودوا إلى الحق. استمر نوح يدعو قومه ليلاً ونهاراً، فلم يؤمن به إلا نفر قليل، بينما استمر الباقون على كفرهم.

كثيراً ما حاول نوح أن يهدي قومه إلى الحق، فكانوا يرفضون دعوته، ويقولون له:

﴿ مَا نُرَبِّكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نُرَبِّكَ إِلَّا الَّذِي هُمْ أَرَادُوا بِأَدْيِ الْأَرَائِ وَمَا زَيْنَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [هود: ٢٧].

(١) استمرت حياة آدم ٩٣٠ سنة.

(٢) كانت هذه الأسماء لأشخاص مصلحين مؤمنين، فلما متوا.. أراد الناس أن يخلدوهم، فأناسوا لهم التماثيل، وعلى مرور الأيام قدس الناس هذه التماثيل وعبدها!!

(٣) هو نوح بن لامك بن متوشلح بن إدريس.. ينتهي نسبه إلى شيث بن آدم عليه السلام.

﴿وَأَسْتَعْتَبُوا يَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ ﴿٧﴾ [نوح: ٧].

ذكر نوح قومه بفضل الله عليهم، ليؤمنوا بدعوته، قال لهم:

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيءٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ ﴿١٢﴾

[نوح: ١١ - ١٢].

أدرك نوح إصرار قومه على كفرهم، فنادى ربه:

﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا

كَفَّارًا﴾ ﴿٢٧﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧].

أمر الله نوحاً أن يصنع سفينة.

كان قوم نوح كلما راوه وهو يصنع السفينة استهزئوا به، كيف يصنع سفينة في

أرض يابسة، ليست نهراً ولا بحراً؟! وكيف تسير هذه السفينة على الأرض؟! (١).

كان نوح قد انتهى من صنع السفينة، فأمره الله أن يدخل فيها هو ومن آمنوا به، وأن

يأخذ معه مع الحيوانات والطيور زوجين اثنين، ذكراً وأنثى.

لكن الكفار لدهشتهم، فوجئوا ذات يوم بالأمطار الغزيرة قد هطلت، وتفجرت العيون

والآبار بما فيها من مياه، وتحولت المنطقة إلى بحر تتلاطم أمواجه.

وطفت السفينة على صفحة الماء بمن فيها، وأغرق الطوفان الكفار، وكان منهم أحد

أبناء نوح، وامرأته.

بعد حين.. توقفت الأمطار عن الهطول، وغيض الماء، واستقرت السفينة على أحد

الجبال العالية، هو جبل أرارات الذي سماه القرآن الكريم الجودي.

ونزل من السفينة نوح والمؤمنون، ليعمروا الأرض.

(١) فمعروف أن السفن والمراكب تصنع على الساحل بجوار الماء.. ليمكن إلقاؤها على المياه بعد نهاية

صنعها.

**\*\* زمن هذه الأحداث :**

لم يرد في القرآن الكريم إشارة إلى متى وقعت هذه الأحداث<sup>(١)</sup>، كل ما ذكره القرآن أن نوحاً استمر في قومه ألف عام إلا خمسين، كما في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت: ١٤].

وقد جاء في العهد القديم (التوراة) في الإصحاح السابع من سفر التكوين أن الطوفان حدث حين كان عمر نوح ٦٠٠ سنة.

فمتى كان مولد نوح؟

جاء في أطلس تاريخ الأنبياء والرسل لمؤلفه سامي المغلوث أن نوحاً ولد بعد وفاة آدم بحوالي ١٢٥ سنة.

وفي نفس المصدر أن آدم عاش من حوالي سنة ٥٩٠٠ ق. م إلى سنة ٤٧٩٠ ق. م. وبذلك يكون الطوفان سنة ٤٢٤٥ ق. م أي بعد ٦٠٠ سنة من مولد نوح.

هذا كله لم يرد به نص تاريخي، ولكنه مجرد استنتاج، مع التغاضي عن عشر سنوات زيادة أو نقصاً، كما يفترض علماء التاريخ.

لقد اكتشف علماء التاريخ المكان الذي رست عليه سفينة تتفق أطوالها مع ما جاء في سفر التكوين الإصحاح السادس من وصف لسفينة نوح<sup>(٢)</sup>، فقد اتضح أن هيكل السفينة التي عثر عليها طوله ٥١٥ قدماً وعرضه ١٣٩ قدماً.

أما القرآن الكريم، فقد اكتفى بأمر الله لنوح بصنع السفينة، ووصف ما حدث عن

(١) قال بعض العلماء: إن طوفان نوح حدث منذ عشرة آلاف عام، دون أن يذكروا تليلاً على ذلك (المؤلف).

(٢) (اصنع لنفسك فلكاً من خشب وتطليه من الداخل والخارج بالقار، وهكذا يصير ثلاثمائة ذراعاً يكون طول الفلك، وخمسين ذراعاً يكون عرضه، وثلاثين ذراعاً يكون ارتفاعه، وتصنع باب الفلك من جلته ومسكن سفلية وعلوية تجعله...) الإصحاح السادس تكوين فقرات ١٤ - ١٧.

الطوفان وقصة نوح مع ابنه كنعان الذي رفض الإيمان، فغرق.

بعد انتهاء الطوفان، خرج أبناء نوح وأحفاده، ليعمروا الأرض الواسعة، فليس لدينا ما يؤكد أو ينفي أن الطوفان غمر المنطقة التي كان يعيش قوم نوح أو العالم كله<sup>(١)</sup>. والله أعلم.

توزع أبناء نوح وأحفاده على مساحات عديدة من العالم.

فاتجه أبناء سام إلى بلاد فارس والأشوريين.

واتجه أبناء حام إلى شبه الجزيرة العربية ومصر والسودان والحبشة والهند.

واتجه أبناء يافث إلى الصين واليونان والأتراك والديلم.

فكان هذا بداية لعمران الأرض.

### \*\* موقع المكان :

جبل أارات (يعرف بجبل أكرى داغ، أو جبل الحارث)<sup>(٢)</sup> الذي هو الجودي، يقع على الحدود عند شرق تركيا وأكراد العراق وإيران<sup>(٣)</sup>.

ارتفاع الجبل ٥١٥٦ متراً. على ارتفاع حوالي ٢٠٠٠ متراً توجد جزيرة ابن عمر.

وهذا يعطى فكرة على أن قوم نوح كانوا يسكنون جنوب ووسط العراق، فقد كانت هذه المنطقة ومنطقة الهلال الخصيب في الشام من أنسب المناطق للاستيطان البشري، ومعنى هذا أن استقرار الجنس البشري منذ عهد آدم كان في هذه المنطقة، ومنها انتشر الناس في أنحاء أخرى في العالم.

تُعرف المنطقة التي يقع فيها جبل أارات مناخياً بأمتارها الشتوية، وفيها تقع منابع نهري دجلة والفرات اللذين تفيض مياههما في فصل الربيع، نتيجة لذوبان الجليد الذي

(١) معروف أن الله أعدل من أن يأخذ الجميع بالعقاب.

(٢) المنجد ص ١٣.

(٣) قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار، وأطلس تاريخ الأنبياء والرسول.

## القريّتان اللتان تمّ الكفار أنّ ينزل القرآن على أحد عظيمهما

تكون على هذه المنطقة في فصل الشتاء.

كما تمتاز العراق بترتبتها الخصبة، مما يعطى فرصة للاستيطان البشرى.

ومما يؤكد هذه الفكرة أن أول من سجل حادث الطوفان هم السومريون الذين كانوا يكونون دولة عاصمتها سومر في جنوب العراق، وكذلك الأكاديون الذين كانوا يكونون دولة وسط العراق.

هذا على اعتبار أن هاتين الدولتين أقرب إلى المنطقة التي استقرت فيها سفينة نوح<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

\*\*\*\*\*

---

(١) جاء في أطلس تاريخ الأنبياء والرسول ص ٨١ أن أحد العلماء الأمريكيين استطاع بواسطة أشعة الرادار تحديد هيكل سفينة قديمة تتفق أبعادها مع أبعاد سفينة نوح التي جاءت وصفها في التوراة.. وكان يعلو السفينة عدة طبقات من الطمي.

## بابل

### مدينة هاروت وماروت

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانِ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَنَكُرَنَّ الشَّيْطَانُ  
كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ لَمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِن  
أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ  
وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِصَّارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]

#### \*\* قصة الأحداث التي وقعت في هذا المكان:

رغم ما يكتنف هذه الأحداث من غموض وإبهام؛ لأن جذورها تضرب في سحيق التاريخ.. إلا أن بعض الرواة حاولوا أن يكشفوا بعض النقاب عنها، يقول الرواة:  
لاحظت الملائكة ما يصعد إلى الله من أعمال الشر والذنوب الخبيثة التي يفتريها  
البشر.. أبناء آدم عليهم السلام الذين اصطفاهم الله من خلقه؛ ليعمروا الأرض، ويعيشوا فيها،  
فقالوا لله (١):

- هؤلاء هم الذين جعلتهم خلفاء في الأرض.. يعصونك!!

فقال الله لهم:

- لو أنزلتكم إلى الأرض، وجعلت فيكم ما فيهم (٢) لفعلتم مثلهم.

قالت الملائكة:

- سبحان الله.. ما كان ينبغي لنا أن نعصيك أو نخالف أمرك، نشكر لك فضلك  
ونعمك علينا.

اختار الله ملكين من الملائكة المشهود لهم بالصلاح، هما: هاروت وماروت، ورغب

(١) قصص الأنبياء، للثعلبي ص ٥٥.

(٢) المقصود بهذا: الشهوة الجنسية التي تحمّل أبناء آدم مسؤولياتها.

## الْقَرِيْبَانِ اللَّتَاۗءُ تَمَّيَّ الْجَفَارُ اُوۗ يَنْزِلُ الْقِرَاۗءُ عَلٰى اَحَدٍ عَظِيْمِهِمَا

فِيهِمَا الشَّهْوَةُ الَّتِي فِي بَنِي اٰدَمَ. تِلْكَ الشَّهْوَةُ الْجَنَسِيَّةُ الَّتِي اخْتَبَرُ اللهُ بِهَا الْاِنْسَانَ.

اَهْبَطَ اللهُ الْمَلَكِيْنَ، وَنَهَاهُمَا عَنِ الشَّرْكِ، وَالْكَفْرِ بِهِ، وَالْقَتْلِ وَالزَّوْنِيَّ وَشُرْبِ الْخَمْرِ.

اسْتَمَرَ الْمَلَكَانِ عَلٰى عَهْدِهِمَا مَعَ اللهِ شَهْرًا.. يَقْضِيَانِ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ نَهَارًا، وَيَذْكُرَانِ اللهَ لَيْلًا.

ثُمَّ افْتَنَّا، فَتَنَّا امْرَاةً مِّنْ اَرْضِ بَابِلَ بِالْعِرَاقِ، كَانَتْ جَمِيْلَةً وَكَافِرَةً، تَعْبُدُ صَنَمًا لَهَا.

تَحَرَّكَتْ فِي الْمَلَكِيْنَ الشَّهْوَةُ الْجَنَسِيَّةُ، وَتَحَرَّكَتْ فِيهِمَا عَوَامِلُ الشَّرِّ وَنَزَعَاتُ الشَّيْطَانِ، فَرَاوَدَاهَا عَنْ نَفْسِهَا، وَلَكِنهَا رَفَضَتْ دَعْوَتَهُمَا.

حَدَّثَ هَذَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ حَتَّى وَضَعْتَ الْمَرْءَةَ شُرُوْطَهَا لِلْمُوَافَقَةِ عَلٰى مَا اَرَادَا، طَلَبْتَ مِنْهُمَا اَنْ يَسْجُدَا لَصَنَمِهَا الَّذِي تَعْبُدُهُ، وَاَنْ يَشْرَبَا خَمْرًا، حَتَّى يَنَالَا مِنْهَا مَا رِيْبُهُمَا.

رَفَضَ الْمَلَكَانِ عَرْضَ الْمَرْءَةِ فِي اَوَّلِ الْاَمْرِ، ثُمَّ وَاَفَقَا عَلٰى اَنْ يَشْرَبَا خَمْرًا.

شَرِبَ الْمَلَكَانِ خَمْرًا، فَانْتَشِيَا، فَزَنَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْمَرْءَةِ، سَعِيْدَيْنِ بِمَا اَحْسَا بِهِ مِنَ نَشْوَةِ الْمَرْءَةِ، وَرَاهُمَا رَجُلًا، فَقَتَلَاهُ خَوْفًا مِنَ الْفُضِيْحَةِ.

ثُمَّ سَجَدَا لِلصَّنَمِ الَّذِي تَعْبُدُهُ الْمَرْءَةُ، وَتَغَيَّرَتْ اَحْوَالُهُمَا مِنْ صِلَاحٍ اِلَى فِسَادٍ وَكَفْرٍ وَخَطِيْئَةٍ، وَكَانَا يَعْلَمَانِ النَّاسَ السَّحَرِ.

بَعْدَ حِيْنٍ.. حَاوَلَ الْمَلَكَانِ اَنْ يَصْعَدَا اِلَى السَّمَاءِ مِنْ حَيْثُ جَاءَا، فَلَمْ تَسْعَفْهُمَا اَجْنَحَتُهُمَا، لِاَنَّ اللهَ غَضِبَ عَلَيْهِمَا، وَمَا يَزَالَانِ مَعْلَقَانِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ، يَقَاسِمَانِ الظَّمَا، وَقَدْ اسْوَدَّ وَجْهَاهُمَا.

فِي السَّمَاءِ.. التَّقَى الْمَلَكَانِ بِنَبِيِّ اللهِ اِدْرِيسَ <sup>(١)</sup>، وَطَلَبَا مِنْهُ اَنْ يَشْفَعَ لِهِمَا عِنْدَ اللهِ، وَمَا يَزَالَانِ مَعْلَقَيْنِ فِي السَّمَاءِ.

(١) هو اِدْرِيسُ (اَخْنُوخُ) بِنُ بَرْدِ (بَارِيْدِ) بِنِ مِهْلَانِيْلِ بِنِ قِيْنَانَ بِنِ شَيْثِ بِنِ اٰدَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، جَاءَ ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالٰى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتٰبِ اِدْرِيسَ اِذْ كَانَ صٰدِقًا نَّبِيًّا ۗ وَرَفَعْنٰهُ مَكَاَنًا عَلِيًّا ۗ﴾ [مَرْيَم: ٥٦ - ٥٧]. وَكَانَ يَعِيْشُ فِي اَرْضِ بَابِلَ، ثُمَّ هَاجَرَ اِلَى مِصْرَ، وَهُوَ اَوَّلُ مَنْ كَتَبَ بِالْقَلَمِ وَخَاطَ الثِّيَابَ.

## \*\* الزمن التاريخي لهذه الأحداث:

ليس لدينا سند من التاريخ عن زمن هذه الأحداث.

لكننا يمكن أن نقول: إن هذه الأحداث وقعت بعد أن رفع الله إدريس عليه السلام إلى السماء.

ومعروف أن إدريس عاش ٣٦٥ سنة في الفترة من ٤٥٦٠ ق. م حتى ٤٢٠٠ ق. م، أي قبل دعوة نوح عليه السلام (١).



تعرضت بابل لموقف آخر، فقد وقعت فيها أحداث أخرى لم يتحدث القرآن الكريم عنها، ولكنها وردت في العهد القديم.. الإصحاح ١١ تكوين الفقرات ١ - ٩، وملخص ما جاء فيها:

اجتمع في بابل أبناء نوح عليه السلام، ليبنوا لهم مدينة وبرجًا عاليًا، لعلمهم يرون الله خالقهم.

أثناء بناء البرج.. لاحظوا أنهم لا يسمعون أو يفهمون الأحاديث بينهم.

لقد شاء الله أن يُبَلِّل ألسنتهم.. فما عادوا يتكلمون لغة واحدة، فتشتتوا بألسنتهم في أنحاء متفرقة من العالم، وتحطم البرج الذي بنوه، وتعددت لهجاتهم.

ومن أجل ذلك عرف هذا المكان باسم بابل.

أعاد تأسيس بابل الملك سوموايوم الأشوري سنة ٢١٠٥ ق. م (٢)، وجعلها عاصمة له، وكان أحد ملوكها حمورابي بعد ذلك، ثم أصبحت عاصمة نبوخذ نصر البابلي (٣).

(١) أطلن تاريخ الأنبياء والرسل ص ٥٠.

(٢) التاريخ القديم لبلاد ما بين النهرين.

(٣) نبوخذ نصر: هو الذي هاجم أورشليم، وأحرقها، ونمر هيكل سليمان، كما سيأتي بعد في قصة المسجد الأقصى.

## الْقُرَيْنَاتُ اللَّتَا تَمَّتْ الْجَفَارُ أَنْ يَنْزِلَ الْقِرَاءُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

سنة ٦١٢ ق. م بعد سقوط نينوى.

بعد وفاة نبي الله سليمان عليه السلام، زعم بنو إسرائيل أن قدرة سليمان على السيطرة على الجن والطيور، كانت بفضل أسرار السحر الذي كانت مكتوبة في كتاب موضوع تحت الكرسي، وأنه أخذ أسرار هذا السحر مما خلفه الملكان هاروت وماروت في بابل، وأن أصف بن برخيا تعلم هذا السحر، وأنه استطاع أن يحضر عرش بلقيس من اليمن إلى أورشليم بهذه السرعة المذهلة، قبل أن يرتد البصر، وكان بنو إسرائيل قد حرفوا ما جاء في هذا الكتاب وجعلوا يفرقون بين المرء وزوجه.

### \*\*موقع المكان:

تقع بابل في العراق شرق نهر الفرات، قرب مدينة الجلة، على بعد حوالي ١٦٠ كم من جنوب شرق بغداد.

وموقعها في منطقة سهلية بقرب النهر، أتاح لسكانها الزراعة من مياه النهر، بالإضافة إلى الأمطار التي تسقط عليها في فصل الشتاء. مما ساهم في خلق حياة بشرية في هذه المنطقة منذ القدم.

\* \* \* \* \*

## الأحقاف

### حيث كان يعيش قوم عاد

﴿ وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُورُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ [الأحقاف: ٢١].

﴿ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ [الأعراف: ٦٥].

﴿ فَأَمَّا عَادٌ لَتَكْفُرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ [فصلت: ١٥].

### \*\* الأحداث التي وقعت في هذا المكان:

انتشر أبناء نوح وأحفاده والذين آمنوا به في أنحاء شتى من العالم.

كان منهم قوم عاد<sup>(١)</sup> الذين حباهم الله ببسطة في الجسم، وأمدهم بأنعام وبنين، وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح، وزادهم في الخلق بسطة.

تكاثر قوم عاد في هذه المنطقة.. يعيشون في خير وسعادة، فشيّدوا القصور<sup>(٢)</sup>.

﴿ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ أَلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ [الفجر: ٧ - ٨].

أنعم الله على قوم عاد بالخيرات الوفيرة: أخصب لهم الأرض، وأسقط لهم الأمطار، وفجر لهم من العيون مياهاً، فأقاموا الحدائق والبساتين، حتى غدت أرضهم أشبه بجنة.

كان عليهم أن يشكروا الله على فضله ونعمه، أن يعبدوه، ولكنهم نسوا ربهم، وعبدوا آلهة صنعوها من الحجارة بأيديهم، أسموها بعدة أسماء: صداء وسمود والهباء، وراحوا يسجدون لها، ويتقربون إليها، أشركوا بالله، وكانوا يقولون: من أشد منها قوة؟

(١) عاد: من أحفاد نوح، وهو جد هود عليه السلام.

(٢) إرم: نسبة إلى إرم بن سلم بن نوح.

## الْقُرَيْبَاتُ اللَّتَا تَمَّتْ الْكُفَارُ أَنْ يَنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

بعث الله إلى قوم عاد واحداً منهم، يدعوهم إلى ترك عبادة هذه الأصنام، وأن يعبدوا الله وحده، بعث الله رسوله هوداً<sup>(١)</sup> إلى قومه، يذكرهم بفضل الله عليهم.. قال لهم:

﴿يَنْقُومِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥].

لكن قوم عاد لم يستجيبوا لدعوة هود رسول الله إليهم.. استمروا على كفرهم وضلالهم، قال لهم هود:

﴿وَنَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

لكن قوم عاد استكبروا، وقالوا لهود:

﴿يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾  
إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴿٥٤﴾﴾ [هود: ٥٣ - ٥٤].

كثيراً ما حاول هود أن يذكر قومه بفضل الله عليهم، وما وهبه لهم من نعم وخيرات. لكنهم كانوا يجيبونه باستهزاء، قال بعضهم:

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظمت أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الشعراء: ١٣٦ - ١٣٧].

وقال آخرون:

﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف: ٦٦].

وما يملك هود وهو في موقفه هذا إلا أن يقول:

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

لذلك؛ استحق قوم عاد عقاب الله لهم.

(١) هو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام.

فنادى هود ربه:

﴿ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١١٧].

فأجابه الله:

﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْحِحَنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٤٠].

منع الله عن قوم عاد المطر، فجفت الأرض، وذبل الزرع، وبيست العيدان التي كانت خضراء، واحترق النبات من شدة الحرارة.

حتى كان ذات يوم..

أقبلت إلى قوم عاد سحابة، ظنوها بشرى لأمطار وفيرة، ففرحوا.

أمر الله هوداً أن يبتعد هو ومن آمنوا به.

فجأة.. هبَّت ريح عاصفة، اقتلعت كل ما في طريقها، تطايرت معها أجسام قوم عاد. لم يستطيعوا أن يقفوا في مواجهتها، وهي تلقي بهم على الأرض:

﴿ سَحَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَّخْلٍ حَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٧].

لأذ قوم عاد بقصورهم، ولكنها تساقطت عليهم فوق رؤوسهم.

استمرت الريح سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً، حتى هلك كفار قوم عاد، وتحطمت مساكنهم، ونجى الله هوداً والمؤمنين به؛ ليعمروا الأرض.

حتى إذا بلغ هود مائة وخمسين عاماً.. مات، فدفنوه داخل كثيب من الرمال الحمراء، في منطقة تريم، وزرعوا فوق قبره شجرة الأراك.

### \*\* الزمن التاريخي لهذه الأحداث:

ذكر علماء التاريخ وبعض الرواة أن الفترة التي كان يعيش فيها قوم عاد كانت من سنة ٢٤٥٠ ق. م إلى سنة ٢٣٠٠ ق. م، وأن الله بعث هوداً إلى قومه حوالي سنة

٢٤٠٠ ق. م.

لم يرد في الكتب السماوية الأخرى: التوراة أو الإنجيل.. قصة قوم عاد ومساكنهم وقصورهم، وما وقع لهم.. انفرد القرآن الكريم دون باقي الكتب المقدسة بذكر تفاصيل قود عاد.

ثم شاء الله أن يؤكد حقائق القرآن الكريم، حين اكتشف بعض رجال التنقيب عن البترول في السعودية، مصادفة قصر كبيراً بدا منحوتاً في الصخر، كان أحد قصور مدينة إرم التي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ ﴾

[الفجر: ٦ - ٨].

ولعل أرض هذه المنطقة تبوح ذات يوم قريب بمزيد من أسرارها، وما تخفيه الرمال تحتها من آثار ومدن.. تلك التي كان يعيش فيها قوم عاد.

### \*\* موقع المكان:

هذه المنطقة تقع في جنوب شبه الجزيرة العربية..

يحدها من الجنوب البحر العربي الذي هو جزء من المحيط الهندي، ومن الشمال منطقة الحجاز التي هي جزء من المملكة العربية السعودية ويحدها من الشرق عمان والخليج العربي، وفي أقصى الغرب البحر الأحمر.

هذه المنطقة هي الآن منطقة صحراوية جافة حارة، وإن كان واضحاً أنه أيام قود عاد كانت تسقط كثير من الأمطار عليها.

الآن تغطي الرمال هذه المنطقة، والتي تعتبر امتداداً لرمال صحراء الربع الخالي التي تحتل مساحة كبيرة من جنوب شرق شبه الجزيرة العربية.

سياسياً، كانت هذه المنطقة تعرف باسم حضر موت، هي الآن جزء من جنوب دولة اليمن.

\* \* \* \* \*

## الحجر

### ديار قوم ثمود (مدائن صالح)

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الحجر: ٨٠].

﴿وَالَّذِينَ تَمُودُ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رِيقَ قَرِيبٍ مُجِيبٌ ﴿١١﴾﴾ [هود: ٦١].

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء: ٥٩].

﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾﴾ [الفجر: ٩].

#### \*\* الأحداث التي وقعت في هذا المكان:

عاش قوم ثمود<sup>(١)</sup> بمنطقة الحجر<sup>(٢)</sup>.. أرض خصبة.. أمطار وفيرة.. فيها كثير من مياه العيون والآبار التي كانت مصدراً لانتشار مساحات واسعة من البساتين والحقول والنخيل، وأقاموا عدة مدن وقرى بعضها في المناطق السهلية، وأخرى نحتوها في صخور الجبال ﴿وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الحجر: ٨٢]، فضلاً عن موقع هذه المناطق على طريق التجارة بين مكة والشام.

مع كل هذه النعم.. نسي قوم ثمود عبادة الله، وعبدوا آلهة صنعوها بأيديهم، أو نحتوها من الصخر، يسجدون لها، ويتقربون إليها.

بعث الله إلى قوم ثمود واحداً منهم هو صالح<sup>(٣)</sup>.. قال صالح لقومه:

﴿يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ

(١) ثمود: هو ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام.

(٢) تعرف هذه المنطقة الآن بمدائن صالح.

(٣) هو صالح بن عبيد بن أسف بن ماسح بن حانر بن ثمود بن عاد بن آدم بن سام بن نوح عليه السلام.

## الْقَرِيَتَانِ اللَّتَانِ تَمَّى الْكُفَّارُ أَنْ يَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

تُوتُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ [هود: ٦١].

ومع أن كثيراً من قوم ثمود كانوا يعلمون عن أخيهم صالح صدقه، إلا أنهم لم يستجيبوا لدعوته.

اختلف قوم ثمود، واحتراروا ماذا يفعلون.

بعضهم آمن بإله صالح، وبعضهم استمر على عبادته للأصنام، وقال فريق من هؤلاء الكفار لصالح:

﴿يَصْلِحْ فَذَكَتْ فِيمَا مَرَجُوا قَبْلَ هَذَا أَنَّهُمْ نَسْنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا

إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾ [هود: ٦٢].

وقال فريق آخر:

﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٣﴾ [الشعراء: ١٥٤].

استمر النقاش والحوار بين صالح وكفار قومه، حتى بعث الله إليهم آية ذات يوم.. بينما كان قوم ثمود جالسين يتناقشون.

فجأة.. رأوا ناقة ضخمة تخرج من الجبل.. يتبعها ولدها.

هنالك.. قال صالح لقومه:

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ

عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ [هود: ٦٤].

اشترط صالح على قومه أن يكون للناقة يوم تشرب فيه من البئر، ولهم يوم. كانت ناقة عجيبة تشرب من ماء البئر كله، وتدر لبناً يكفي كل قوم ثمود.

﴿وَكَاثَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةَ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ [النمل: ٤٨].

تأمر الرجال التسعة على قتل الناقة.

فلما كان الليل.. هاجموها، وسد عليها الطريق أحدهم، وهو مصدع، وضربها أكثرهم شراً وهو قدار.. فسقطت صريعة.

هكذا.. قتل قوم ثمود ناقة الله، فاستحقوا عقاب الله لهم.

قال صالح لقومه:

﴿ تَمَعُّوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْدُوبٍ ﴾ [هود: ٦٥].

وابتعد صالح عن قومه ومعه من آمن بالله.

فجأة..

سمع كفار ثمود صرخة عاتية، اهتزت لها الأرض، ففزعوا ووقعوا.. لم يستطيعوا أن ينهضوا، ماتوا..

ونجى الله صالحاً ومن آمنوا به.. ولما توفى صالح دفن بمكة.

### \*\* الزمن التاريخي لهذه الأحداث:

واضح من أصول نسب قوم عاد وقوم ثمود أنهم يرجعون إلى نسب واحد.. فعاد بن عوص بن إرم، وثمود بن عامر بن إرم، والاثنان قوم عاد وقوم ثمود يرجع نسبهما إلى سام ابن نوح عليه السلام.

وهذا جعل بعض العلماء يطلقون على قوم ثمود عاداً الثانية.

كان يعيش قوم ثمود، وفقاً لأراء المؤرخين من سنة ٢١٥٠ ق. م إلى سنة ٢٠٨٠ ق. م وكانت بعثة نبي الله صالح سنة ٢١٠٠ ق. م.

مما يذكر عن تاريخ هذه المنطقة أن المسلمين يتقدمهم رسول الله حينما خرجوا في رجب سنة ٩ هـ للقاء الرومان في تبوك<sup>(١)</sup>.. مروا على هذه المنطقة، فأسرع الرسول،

(١) عرف هذه الجيش بجيش العسرة، لأن الرسول كونه في ظروف مادية ومناخية واقتصادية صعبة، وكان الهدف من خروج الجيش لقاء الرومان للانتقام منهم لمقتل ثلاثة أبطال مسلمين في معركة مؤتة سنة ٨ هـ هؤلاء الأبطال هم: عبد الله بن رواحة، وزيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب. لم يجد المسلمون جيش الرومان، فعادوا إلى المدينة المنورة.

## الْقَرِيَّتَانِ اللَّتَانِ تَمَّتِي الْكُفَّارُ أَوْ يَنْزِلُ الْقِرَاءُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

وقنع رأسه، وهمز راحلته، يحثها على الإسراع، ونهى الرسول رجاله عن دخول منازل قوم ثمود، إلا أن يكونوا باكين، فإن لم يبكوا.. تباكوا، خشية أن يصيبهم مثل ما أصاب قوم ثمود، وقال الرسول لمن معه:

((لا تشربوا من بئرها، ولا تتوضأوا منها للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه، فأعلموه للإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجن أحدكم الليلة، إلا ومعه صاحب له)).

وتعرف هذه المنطقة بشدة عواصفها التي تطمر رمالها الناس والإبل.

ومما يروى أن رجلين خرجا عن رأي رسول الله ﷺ، فاحتلمت الريح أحدهما وطمرت الرمال الآخر، وأصابهما الفزع.

ذكر بعض من زاروا منطقة مساكن ثمود (الحجر) أنهم رأوا رمم جثث بعض رجال ثمود.

### \*\* موقع المنطقة :

هذه المنطقة تقع بين أرض الحجاز والشام، تقع أرض نجد في جنوبها الشرقي، وفي شرقها جبل شمر، وفي الغرب جبال الحجاز التي تفصلها عن البحر الأحمر (بحر القلزم) ومن هذه الجبال تنحدر إلى المنطقة بعض الوديان.

المسافة بين مكة ومدائن صالح حوالي ٦٤٠ كم<sup>(١)</sup>.

والمسافة بين المدينة المنورة ومدائن صالح حوالي ٣٥٠ كم.

والمسافة بين الرياض ومدائن صالح حوالي ٩٠٠ كم.

مناخ المنطقة حار، والأمطار نادرة.

والمنطقة محدودة الإنتاج اقتصادياً.

\* \* \* \* \*

(١) الأطلس العربي بحساب مقياس الرسم، خريطة المملكة العربية السعودية ص ٣٤.

## سد ذى القرنين

﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَايَاتِنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبِيلًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَدِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ نُنَجِّدَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَرَبِّكُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف: ٨٣ - ٩٨].

### \*\* تمهيد:

قبل أن نتحدث عن هذا الموضوع، يجب أن نؤكد هنا حقيقة هامة، وهي أن ذا القرنين الذي نحن بصدد الحديث عنه، ليس هو الإسكندر المقدوني الذي أطلق عليه بعض المؤرخين اسم (ذو القرنين) وكان في الفترة من سنة ٣٥٦ ق.م إلى سنة ٣٢٤ ق.م.

أما ذو القرنين الذي نقصده، فلم يكن ملكًا كافرًا، وإنما كان حاكمًا عادلًا صالحًا، استطاع أن ينشر عبادة الله في أقصى شرق وغرب العالم، كما سيتضح من الحقائق التي سنتعرض لها.

**\*\* قصة الأحداث التي وقعت في هذا المكان :**

كان ذو القرنين ملكًا طيبًا، وحاكمًا عادلًا.. أَحْبَبَهُ كُلُّ رَعِيَّتِهِ، أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ (١).

لكن سؤالاً كان يشغل ذهن ذي القرنين: أين تغيب الشمس؟ ومن أين تشرق؟

لكي يجيب ذو القرنين على سؤاله، اتجه مع جيش له نحو الغرب، فرأى الشمس تغرب في مياه المحيط الأطلنطي الذي يقع غرب إفريقيا وآسيا في منطقة يكثر فيها الطين، حيث مصبات بعض الأنهار.. وهناك نشر ذو القرنين دعوة عبادة الله بين القوم، ونشر العدل والسلام.

اتجه ذو القرنين بعد ذلك نحو الشرق، يبحث عن مشرق الشمس، حتى وصل إلى شرق آسيا، حيث المحيط الهادي، وهناك وجد أقوامًا شبه عراة، لشدة حرارة الشمس.. يسكنون كهوف الجبال، فهداهم إلى الحب والإخلاص وعبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام والحيوانات التي كانوا يعبدونها.

كان ذو القرنين سعيدًا برحلتيه نحو الغرب والشرق، وما حققه فيهما من دعوة أهل المنطقتين إلى الحق والمحبة والسلام.

اتخذ ذو القرنين طريقه للعودة إلى بلاده، ولعلها كما ذكرنا، كانت في المنطقة التي تقع بين البحر الأسود والبحر المتوسط، أي تركيا وما جاورها من بلاد أرمينيا.

(١) لم يحدد القرآن الكريم المنطقة التي كان يعيش فيها ويحكمها ذو القرنين، ولم يتفق الرواة والمؤرخون على رأي.. لكن الواضح من خلال الأحداث أن هذه المنطقة تقع في قارة آسيا.. بين الشرق والغرب في منطقة أقرب إلى التجمع البشري الأول لأدم عليه السلام، وهي منطقة غرب آسيا، ويمكن أن نقول تجلوزًا: إنها منطقتي تركيا والأناضول؛ لاقتراب هذه المنطقة التي بنى فيها ذو القرنين السد (التركستان الروسية) (المؤلف).

## قصص الأماكر في القرآن الكريم

في الطريق.. في المنطقة التي تشغلها الآن التركستان الروسية (١) التي تقع بين البحر الأسود غرباً وبحر قزوين شرقاً، ويحدها من الشمال جبال القوقاز.

في هذه المنطقة لقي ذو القرنين جماعة من سكانها.. كانوا يعيشون في رعب وفزع من هؤلاء السكان الذين كانوا يسكنون شمال جبال القوقاز والذين سماهم القرآن الكريم بـ يأجوج ومأجوج (٢) الذين كانوا يهاجمون السكان، ويستولون على محاصيلهم من القمح وأغنامهم.

كان يأجوج ومأجوج يدخلون على هؤلاء القوم من فتحة في جبال القوقاز تعرف باسم مضيق داربال (٣).

أحس هؤلاء السكان في ذي القرنين القوة والعدل والرغبة في مساعدة الآخرين، فاشتكوا إليه ما يقاسونه من هجمات هؤلاء الأعداء يأجوج ومأجوج، وأن عليه أن يساعدهم في الخلاص وحمايتهم منهم.. قالوا:

﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰتٰنَا هٰذِهِ الْقُوَّةَ مِنَّا وَآتِنَا سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: ٩٤].

أجابهم ذو القرنين مشفقاً على حالهم:

﴿مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّيْ خَيْرٌ فَاَعِيْنُوْنِيْ بِقُوَّةٍ اَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: ٩٥].

وتشجع القوم، وأعجبهم الفكرة، فنشطوا في جمع الحطب والأخشاب والأحجار التي كانت مختلطة بخام الحديد التي تكثر في جبال تلك المنطقة، هداهم ذو القرنين إلى صنع أسلحة؛ لتقطع هذه الأحجار من الجبال.

(١) دخل المسلمون هذه المنطقة سنة ٧٥١ م.

(٢) يأجوج ومأجوج جماعة من المغول، وهم من ذرية آدم عليه السلام من أحفاد ياقث بن نوح، كانوا يعيشون على أكل الحشرات والزواحف، وهم أصول قبائل النيلم. (المنجد: ٢، ٥٧٠)

(٣) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص ٢١٠.

## الْقَرِينَاۗ۟ اللَّتَاۗ۟ تَمۡئُ الْجَفَارُۙ اُو۟ يَنۡزِلُ الْقَرَاۗ۟ عَلٰٓى اَحَدٍ عَظِيۡمِهِمَا

اهتدى ذو القرنين إلى مشروع لسد فتحة داريل بين حافتيها، لتتماسك مع الجبال.

كان الرجال يرصون الأحجار الحديدية، ويضعون فوقها طبقة من الحطب والخشب.

طبقات متعددة رصها الرجال من الحجارة والأخشاب، حتى ارتفع السد أعلى من الجبل من ناحيته، قال ذو القرنين للرجال.

- أشعلوا النار في الحطب والخشب، وانفخوا.

حتى إذا انصهرت الأحجار الحديدية بفعل الحرارة، جاءوا له بالرصاص المذاب، فصبه على الحديد، فتماسكت الأحجار، وصار سدًا كثلة واحدة صلبة، عزلت ما بين الجنوب والشمال.

حاول قوم يأجوج ومأجوج أن يصعدوا السد، فما استطاعوا، لارتفاعه..

حاولوا أن يخرقوه، فما استطاعوا بعد، لقوة صلابته وتماسكه، وإحكام بنائه، ومثاقته.

﴿فَمَا اسۡطَعۡمُوا۟ اَنْ يَّظۡهَرُوۡهُ وَمَا اسۡطَعۡمُوا۟ لَهٗ نَجۡبًا ﴿٩٧﴾﴾ [الكهف: ٩٧]

### \*\* التاريخ الزمني لهذه الأحداث:

ذكرنا أن ذا القرنين هذا الذي ذكره القرآن الكريم ليس هو الإسكندر الأكبر المقدوني.

فشتان بين الاثنين: الأول كان عبدًا صالحًا مؤمنًا، اهتدى له الكثير من أهل الشرق والغرب، أما الإسكندر الأكبر، فكان قائدًا حربيًا، لم يعرف الهداية.. ويقال إنه كان سكيرًا.

وعلى ذلك، فإن ذا القرنين الذي نحن بصدد الحديث عنه ليس معلومًا لنا

## قصص الأماكر في القرآن الكريم

نسبه، ولا الزمن الذي عاش فيه، ولم يكن نبياً، ولذلك يحتمل أنه عاش في فترة خلت من النبوة، ومن المحتمل أن تكون الفترة الزمنية التي عاش فيها ذو القرنين، كانت قبل دعوة إبراهيم عليه السلام، وخلال دعوة هود في جنوب شبه الجزيرة العربية، وصالح في غربها، يمكن أن نقول إن زمن ذي القرنين كان حوالى من ٢٣٠٠ ق.م حتى ٢٠٠٠ ق.م (١).

فمعروف أن يافث بن نوح قد هاجر إلى هذه المنطقة، بعد انتهاء الطوفان، واستقر فيها هو وأحفاده، وتكاثروا.

هذا مجرد اجتهاد في موضوع لم يذكر القرآن الكريم تفاصيله، ولم يرد في العهد القديم معلومات عنه، ولم تكشف حقائق التاريخ النقاب عنه، ولعل الأيام القادمة تفسر لنا كثيراً مما غمض عن عقولنا.

يذكر التاريخ أيضاً أن سكان هذه المنطقة، كان منهم التتار والمغول الذين هاجموا الوطن العربي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادى.. كان منهم جنكيز خان سنة ١١٥٥م - سنة ١٢٢٧م، وهولاكوا سنة ١٢١٧ - ١٢٦٥ م، ولم ينفذ الوطن العربي من شرورهم إلا رجال مصر الذين انتصروا عليهم في عدة مواقع وطاردهم.

استطاع هؤلاء المغول أن يخرجوا من المناطق حول السد المجاور للجبلين التي تأكلت بفعل عوامل التعرية، اخترقوها دون أن يستطيعوا اختراق السد، سد ذي القرنين.

### \*\* موقع هذا المكان :

سد ذي القرنين بُني في التركستان الروسية.. تلك المنقطة التي تقع في وسط آسيا

(١) هذا مجرد استنتاج لمجريات أحداث التاريخ.

فى هذه المنطقة: تكثر الجبال مثل: جبال بنطس جنوب البحر الأسود، وجبال البرز التى تقع جنوب بحر قزوين، وجبال القوقاز التى تصل بين البحر الأسود وبحر قزوين.. والتى كانت بها فتحة داربال، تلك الفتحة التى سدها ذو القرنين، ليحمى سكان الجنوب من هجمات الشمال.

هذه الجبال: هى جبال التوائية، ترجع إلى حركة التواء حدثت فى الزمن الثالث الجيولوجى.

فى هذه المنطقة توجد الأنهار التى تنبع من قمم الجبال نتيجة لذوبان الجليد فى فصل الربيع، هذا الجليد تكون فى فصل الشتاء، هذه الأنهار مثل نهر سيروس، ونهر أركس، وهما يصبان فى بحر قزوين.

شمال هذه المنطقة توجد منطقة غنية بالحديد، الذى أقيمت عليه عدة مصانع روسية، فى هذه المنطقة لوفرة معادنها، وكثافة السكان بها فى منطقة جبال أورال.

\* \* \* \* \*

## أور

### القرية التي عنت عن أمر ربها

﴿وَكَايَن مِّن قَرْيَةٍ عَنَّتْ عَنِّ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾ [الطلاق: ٨ - ٩].

**\*\* الأحداث التي وقعت في هذا المكان :**

في قرية أور.. إحدى قرى، أو مدن الدولة (الكلدانية) ولد سيدنا إبراهيم <sup>(١)</sup>. كان أبوه أزر يشتهر بإجادته صنع التماثيل التي كان يعبدها قومه، ويتخذونها آلهة من دون الله.

لكن إبراهيم لم يرض عما يعبده قومه. رفض عبادة هذه الآلهة التي يصنعها أبوه، والتي لا تسمع، ولا تبصر، ولا تعي ما يدور حولها. وراح يبحث عن الله.

بشفافية إيمانية.. أدرك أن الشمس والقمر والنجوم.. ليست هي الله الذي خلق هذا الكون بما فيه ومن فيه، لأن الشمس تظهر نهارًا، وتختفي ليلاً، القمر يظهر في بعض الليالي دون ليالٍ أخرى.. وتلك النجوم تظهر في الليل، وتختفي في النهار.

اهتدى إبراهيم إلى الله الواحد الذي خلق الكون، وأحسن تدبيره.

لذلك، قرر إبراهيم تحطيم هذه الأصنام التي يعبدها قومه.

ذات يوم عيد.. كان يحتفل به الشعب، يشاركهم ملكهم النمرود <sup>(٢)</sup>.

(١) هو إبراهيم بن أزر بن ناحور بن سروج ينتهي نسبه إلى حام بن نوح عليهما السلام، هو أحد أولي

العزم من الرسل. أنزل الله عليه صحفًا بها دعوة إلى عبادة الله وحده. يعرف باسم (أبو الأنبياء).

(٢) النمرود: وقيل كان اسمه أورنيمو بن كوش.. ينتهي نسبه إلى حام بن نوح. كان ملك الكلدانيين،

عرف بولعه بالصيد، وكان خصمًا لسيدنا إبراهيم. (المنجد ص ٥٤٠).

## الْقَرِيْبَاتُ اللَّتَّى تَمْنَى الْكُفَّارُ أَنْ يَنْزَلَ الْقِرَاءُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيْمِهِمَا

بعد أن انتهى الملك والشعب من المسجود للآلهة؛ وتقديم القرابين لها؛ خرجوا للاحتفال بعيدهم، وكادت المدينة أن تكون خالية.

انتَهز إبراهيم هذه الفرصة، ودخل المعبد، وحطَّم الأصنام ما عدا كبيرهم مردوخ، فعلق الفأس في عنقه.

وحينما انتهت الاحتفالات بالعيد.. عاد القوم، فساءهم ما حدث لألهتهم، وعلموا أن الذى فعل هذا هو إبراهيم بن آزر.

قَبَضُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَسَأَلُوهُ:

﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا هَلْمَنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢].

فى ثقة قال إبراهيم:

﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَلَّوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

لم يستطع الشعب، ولا الملك مواجهة إبراهيم، فاتفقوا على أن يحرقوه، فقبضوا عليه، وأشعلوا النار فى الحفرة، وألقوا فيها إبراهيم.. وتركوه فى النار عدة أيام، لكنهم فوجئوا بعد أن انتهت النار أن إبراهيم لم يحترق.. بقى سليماً.. أنقذه الله من النار.

حدث نقاش بين الملك وإبراهيم:

سأل الملك إبراهيم:

- من ربك؟

قال إبراهيم:

- ربي الذى يحيى ويميت.

قال الملك:

- فأنا أحيى وأميت.

## قصص الأماكر في القرآن الكريم

وجاء الملك بسجينين، أطلق أحدهما حرًا، بينما أمر بقتل الآخر، والتفت إلى إبراهيم وقال له:

- أرايت؟ أنا أحيى وأميت مثل إلهك.

قال إبراهيم:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

بهت الذي كفر

وهكذا انتهى الحوار بين إبراهيم والملك، لكن الملك أمر بقتل إبراهيم، فأخبر الله نبيه بالخروج من المدينة، فهرب إبراهيم ومن آمنوا بالله، واتجهوا إلى الشمال، ومنها إلى فلسطين (أرض كنعان).

بسبب موقف الملك ورجاله، وأهل أور الذين عصوا رسول الله إبراهيم، وحاولوا الخلاص منه.. ضعفت الدولة الكلدانية، وأصابها الخور والهوان، مما كان فرصة لجيرانها لمهاجمتها في عاصمتها بابل، هاجمها العيلاميون الذين كانوا يسكنون في الشرق والأموريون الذين كانوا يسكنون في الشمال، والذين عرفوا بعد ذلك (بالأشوريين).

لقد شاء الله أن ينتقم لرسوله إبراهيم، بخراب أور، تلك القرية التي عنت عن أمر ربها وعاصمتها بابل.

### \*\* زمن هذه الأحداث :

من دراسة لتاريخ بلاد الرافدين القديم (العراق) ذكر بعض المؤرخين (١) لقصص الأنبياء أن إبراهيم عليه السلام كان مولده سنة ١٩٩٧ ق. م وتوفي سنة

(١) تاريخ الأنبياء والرسل ص ٥١.

## القَرْيَتَانِ اللَّتَانِ تَمَيَّي الْجَفَارُ أَوْ يَنْزِلُ الْقِرَاءُ عَلَى أَحَدِ عَظِيمِهِمَا

١٨٢٢ ق. م وكانت بعثته سنة ١٩٠٠ ق. م (١) أى أن هذه الأحداث وقعت خلال هذه الفترة، وإن كان سقوط الدولة الكلدانية وعاصمتها بابل كان بعد ذلك، ومعروف أن إبراهيم عليه السلام عاش مائة وخمسة وسبعين، ولعله علم أخبار ما وقع لقومه ولقريته وعاصمة دولته التى كان يعيش فيها.. ومن الطبيعى هلاك الملك النمرود الذى يقال: أن بعوضة دخلت أنفه، كانت تسبب له صداغاً، لا يوقفه إلا ضربه على رأسه.

### \*\*موقع المكان:

أما أور حيث كان مولد إبراهيم، فهى مدينة تقع على نهر الفرات فى أدناه وجدت فيها آثار من أسلحة ذهبية وكنوز، وفيها منطقة مرتفعة اسمها زقور. أقام عليها الملك أورنيمو برجاً، كان يريد أن يصعد إليه ليرى إله إبراهيم الذى أنقذه من النار.

\* \* \* \* \*

(١) المنجد ص ٥٦.

## مكة

### أم القرى

#### حيث عاش إسماعيل عليه السلام وبنى إبراهيم عليه السلام الكعبة

﴿إِن أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾﴾ [ال عمران: ٩٦].  
 ﴿وَهَذَا كِنْتٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام: ٩٢].  
 ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح: ٢٤].

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى: ٧].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥].

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٢٠﴾﴾ [التين: ٣].  
 ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧].

#### \*\* الأحداث التي وقعت في هذا المكان :

كثير من الأحداث وقعت في مكة بأسمائها المتعددة <sup>(١)</sup>.  
 تذخر مكة بما وقع فيها من أحداث كثيرة ومتنوعة خلال تاريخها الطويل.

(١) من أسماء مكة:

- \* بكّة: لأنها تبتك (تقسم ظهر من أراد بها سوءاً) كما حدث لأبرهة ملك الحبشة.
- \* أم القرى: لأنها أصل بداية العالم، خلقها الله، ودعى الأرض من حولها.
- \* البلد، والبلد الأمين.
- \* واد غير ذي زرع.

## الْقُرَيْشَاتُ اللَّتَا تَمَّتْ الْكُفْرَارُ أَنْ يَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

إليها جاء إبراهيم عليه السلام بصحبة زوجته هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام، حيث كانت هاجر أول من استوطن مكة، وأنشأوها كمقر وموطن لحياة بشرية على الأرض مع ابنها في واد غير ذي زرع، فلا أمطار ولا أنهار.

وفي مكة أنبع الله بئر زمزم، ليكون ماؤها ريا لحجاج بيت الله الحرام وزواره. وفي ضاحية من ضواحي مكة، حيث يقع عرفات، وجبل ثبير، كانت قصة الفداء المعروفة الذي افتدى الله إسماعيل بذبح عظيم <sup>(١)</sup>.

وفي مكة اشترك إبراهيم وإسماعيل وهاجر وغيرهم من سكانها في رفع قواعد البيت الحرام الكعبة المشرفة.

وفي مكة كانت هزيمة أبرهة ملك الحبشة، الذي سَوَّلَ له الشيطان هدم الكعبة.

وفي مكة كان مولد محمد بن عبد الله وبعثته، وهو خاتم الأنبياء.

ومن مكة كان مسرى محمد إلى بيت المقدس، ومعراجه إلى السموات العلاء.

ومكة هي التي فتحها رسول الله سنة ٨ هـ، وكان فتحًا مبينًا.

وما تزال مكة رمزًا لدين الإسلام، وستبقى على مدى السنين والأعوام.

وإلى مكة يتجه الناس للحج والعمرة.

### \*\*تاريخ مكة:

ترجع أحداث بداية نشأة مكة إلى حوالي سنة ١٩١٠ ق.م، فمعروف أن إسماعيل

كان مولده سنة ١٩١١ ق.م.

(١) حاول اليهود أن يغيروا الحقيقة، ف سجلوا في كتابهم العهد القديم في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين أن الذبيح هو إسحاق، هذا خطأ، فقد كان صاحب قصة الفداء هو إسماعيل، لأنه كان في ذلك الوقت وحيد أبيه، ومعروف أن هاجر أنجبت ابنها إسماعيل، قبل أن تنجب سارة ابنها إسحاق بكثير من ثلاث عشرة سنة.

## قصص الأماكر في القرآن الكريم

وحين ذهب إسماعيل مع أمه وأبيه، كان ما يزال طفلاً.. بل لعله كان ما يزال رضيعاً، أى كان عمره تقريباً عاماً.

حين وصل إبراهيم مع زوجته هاجر وابنه إسماعيل.. أنزلهما إبراهيم فى أرض خالية، ليس فيها حياة بشرية أو نباتية، وخالية من أى نشاط اقتصادى أو عمرانى.

ولذلك تعتبر هاجر وابنها إسماعيل أول من سكن هذه المنطقة، منذ ما يقرب من أربعة آلاف عام.

وتذكر صفحات التاريخ أن إبراهيم بعد أن بنى لزوجته وابنه عريشاً، تهيأ للعودة إلى أرض كنعان (فلسطين)، فقالت له زوجته هاجر:

- يا إبراهيم.. أتتركنا وحدنا فى هذا المكان؟!

فقال لها إبراهيم:

- الرب معكما.

قالت هاجر فى إيمان بالله:

- فإله لن يضيعنا.

وما يملك إبراهيم، وهو يحتبس حزنه وعواطف أبوته فى قلبه على ولده وزوجه، إلا أن ينادى ربه:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ثم شاء الله أن ينبع عند قدمى إسماعيل نهر زمزم<sup>(١)</sup> وحامت عليها الطيور، التى دفعت بعضاً من رجال قبيلة جرهم الذين كانت أغنامهم ترعى

(١) انظر ما جاء فى هذا الكتاب ص ٣٧ عن الصفا والمروة.

## الْقَرِيَّتَانِ اللَّتَانِ تَمَّى الْكُفَّارُ أَنْ يَنْزِلَ الْقِرَاءُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

كلًا في المنطقة، سألوا هاجر أن تسمح لهم بالبقاء في هذا المكان، ليكون هذا بداية لعمران المنطقة (مكة).

وتتابعت الأيام، وبنى إبراهيم وإسماعيل الكعبة، وأمره الله أن يؤذن للناس بالحج إلى بيت الله.

تحركت الوفود إلى مكة للزيارة والطواف، وازداد عمران المنطقة، واتسعت. وازداد اتساعها على مدى الأزمنة، لتصبح مدينة لها سكانها من الدول وخاصة دول العالم الإسلامي. انظر صورة لمكة تظهر فيها الكعبة.

### \*\* موقع المكان:

تقع مكة في غرب المملكة العربية السعودية بأرض الحجاز، في واد تحيط به بعض الجبال مثل جبل قبيس، جبل المقطع، جبل أسلع، جبل عمر وجبل حراء.

وترتفع مكة عن سطح البحر بحوالي ٣٠٠ مترًا.

فلكيًا تقع مكة عند تقاطع خط الطول  $٥٠^{\circ} ٣٩'$  شرقًا، ودائرة العرض  $٣٠^{\circ}$  ،  $٢١^{\circ}$  شمالاً.

ولمكة ثلاثة مداخل: المعلاة (الحجون) والشبكة والمسفلة. انظر شكل (٥).

وتقع الكعبة والمسجد الحرام في مكة.

تبعد مكة عن الرياض عاصمة السعودية حوالي ٨٥٠ كم وعن المدينة المنورة حوالي ٧٠٠ كم.

مكة سياسيًا وإداريًا تتبع المملكة العربية السعودية، وهي وما أحاط بها حرم آمن.

من حيث المناخ. مناخها صحراوي، حار طول العام، نادر المطر، والمدى الحراري اليومي والفصلي كبير في مكة.



صورة لمكة المكرمة، تظهر فيها الكعبة

## الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ

### سعت بينهما هاجر

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

#### \*\* الأحداث التي وقعت في هذا المكان :

عرفت الأحداث طريقها بين الصفا والمروة منذ قدم إبراهيم وهاجر وإسماعيل إلى تلك البطحاء التي تقع في واد غير ذى زرع، والتي عرفت بعد ذلك باسم مكة.

(١) لم يمض غير قليل على رحيل إبراهيم من مكة.. ربما مضى يوم أو بعض يوم، حين أدركت هاجر ظمأ ابنها.. فهرعت إلى سقاء الماء، لكن لهفتها تكسرت، حين وجدت السقاء فارغاً، لا يبيض بقطرة ماء واحدة.

لحظات قاسية عاشتها هاجر، وهي تتلفت حولها، فلا ترى إلا رمالاً وحصباء تغطي المنطقة، رمال وحصباء أكثر ظمأ من ابنها، وما عرف عن الحصباء أو الرمال أنها تبيض ماء.

تركت هاجر ولدها، وخرجت تنظر في الأفق المترامي حولها، لعل قافلة تجارة تراها.. يكون مع رجالها بعض ماء.

اعتلت هاجر جبل الصفا.. تنظر الفضاء، فرأت عند جبل المروة كأن لجة ماء!!  
أسرعت هاجر إلى الصفا.. يملأها الأمل.. تسير حيناً، وتهول أخرى، حتى إذا وصلت إلى المروة لم يكن ما رآته إلا سرايباً، يحسبه الظمان ماء!!

سبع مرات سارت هاجر بين الصفا والمروة، حتى إذا أنهكها طول السعي، ومشقة الطريق والحزن.. عادت إلى إسماعيل، تنتظر قضاء الله فيه، فإذا ابتسامته تملأ وجهه، وإذا نبع ماء عند قدميه، ينساب ماؤه صافياً.. عذبا، فراحت تغرف منه بكفيها، وتسقى

ابنها، وملأتها السعادة، وهي تروى ظمأها.. تكفكف دموعها في عينيها.

وما كانت تدرى أنها مشينة الله شاءها، لقدّر قَدْرَهُ في سجلات الخلود.

كان سعى هاجر بين الصفا والمروة أول حدث بين الجبلين، وما كانت هاجر تدرى وهي تسير أو تُهزول بينهما أن هذا السعى سيكون شعيرة من شعائر الحج والعمرة لدين حفيدها محمد بن عبد الله ﷺ.

ومضت الأيام.. والصفا والمروة على حالهما كما عرفهما أهل مكة وزوارها.

(٢) حتى كان ذات يوم..

شق رداء الصبح صوت صاف من فوق جبل الصفا.. ينادى:

- يا معشر قريش.. يا بني هاشم.. يا بني مخزوم.. يا بني عبد المطلب.. إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي، وإنى لا أملك لكم من الله في الدنيا منفعة، ولا من الآخرة نصيباً، إلا أن تقولوا لا إله إلا الله.

كان الصوت هو صوت محمد بن عبد الله الذي بعثه الله رسولاً إلى قومه، فاستمر يدعوهم إلى الإسلام سرّاً ثلاث سنوات، حتى أمره الله أن يجهر بدعوته، حين أنزل الله عليه قوله تعالى:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

هكذا كان جبل الصفا، أول منبر لرسول الله، أعلن منه عن دعوة الإسلام.

(٣) ذات يوم..

عند الصفا أساء أبو جهل إلى رسول الله بالقول، وضربه بحجر، فشق رأسه، فما كاد يعلم حمزة بن عبد المطلب ما وقع لابن أخيه، حتى لطم أبا جهل على وجهه، وكاد يفتك به، وكان هذا الحدث بداية لإسلام حمزة.

(٤) يوم فتح مكة..

## الْقَرِيَّاتُ اللَّتَا تَمَّى الْكُفَّارُ أَوْ يَنْزِلُ الْقِرَاءُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

اجتمع كفار قريش عند الصفا، يطلبون صفح محمد والعتو عنهم، يومها قال الرسول

لهم:

- اذهبوا، فانتم الطلقاء.

### \*\* الزمن التاريخي لهذه الأحداث:

بالنسبة لسعي هاجر بين الصفا والمروة، فقد حدث هذا كما ذكرنا في الحديث عن مكة أن عمر إسماعيل كان عامًا تقريبًا، وأن مولده حوالي سنة ١٩١١ ق.م.

إذن زمن سعي هاجر بين الصفا والمروة، كان حوالي سنة ١٩١٠ ق.م.

بالنسبة للزمن التاريخي الذي أعلن فيه محمد رسول الله ﷺ عن دعوته إلى الإسلام جهراً كان ذلك سنة ٦١٣ م، معروف أن البعثة المحمدية كانت سنة ٦١٠ م، والجهر بها كان بعد ثلاث سنوات.

بالنسبة لإسلام حمزة بن عبد المطلب، فقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان سنة ٦ من البعثة المحمدية أي سنة ٦١٦ م.

أما فتح مكة، وعتو الرسول ﷺ عن الذين أذوه، كان في ١٠ رمضان سنة ٨ هـ (٦٣٠ م)

### \*\* موقع الصفا والمروة:

(١) جبل الصفا: جبل صغير أشبه بأكمة.. يقع في جنوب شرق مكة، على بعد حوالي ١٣٠ مترًا من الكعبة، ومنه يبدأ السعي.

(٢) جبل المروة: جبل صغير من حجر المرو، يقع شمال شرق مكة على بعد حوالي ٣٠٠ م من الكعبة، وإليه ينتهي السعي.

وقد اهتم السعوديون بالمسعى بين الصفا والمروة، فتم تبليطه وتسقيفه، وإنارته ووضعوا علامات لمنطقة الهرولة في السعي، وجعلوا له عدة أبواب، منها أبواب تشرف على المسجد الحرام، ليسهل الوصول بين المسجد والسعي.

\*\*\*\*\*

## الكعبة المشرفة

### بيت الله الحرام

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦].  
﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغُرَبَاءَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهُدًى وَالْقَلْبَةَ ذِيكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المتدة: ٩٧].

#### \*\* قصة الأحداث التي وقعت في هذا المكان:

أقامت هاجر وابنها إسماعيل بمكة، بعد أن استودعهما إبراهيم ربه، واتسعت مكة بإقامة الجراهمة، يرتوون من مياه زمزم.

وشاء الله أن يزداد عدد سكان مكة على مر الأيام، واتسعت فيها الدور والخيام. حتى كان ذات يوم..

قدم إبراهيم عليه السلام من أرض كنعان، حيث كانت تعيش زوجته سارة وابنتها إسحاق.. جاء إبراهيم لزيارة زوجته هاجر وولده إسماعيل، جاء لمهمة كلفه الله بها.

في جلسة تسودها عواطف الأبوة والبنوة، قال إبراهيم لإسماعيل:

- يا إسماعيل.. إن الله أمرني أن أبني له بيتًا.

وأشار إبراهيم إلى أكمة حمراء قائمة على غير بعيد من بئر زمزم، وقال:

- هنا فوق هذه الربوة الحمراء، على أن تعينني.

قال إسماعيل لأبيه:

- فأطع ربك فيما أمرك به، وستجدني عونًا لك.

## الْقَرِيَّتَانِ اللَّتَانِ تَمَّتْ الْكُفْرَانُ يُنْزَلُ الْقِرَاءُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

بدأ إسماعيل وإبراهيم وبعض رجال جرهم الذين كانوا يسكنون مكة يرفعون بقايا الأحجار الكثيرة التي كانت تعلو الربوة، حتى بدت قواعد البيت راسخة ثابتة كأسنام الإبل.

ثم بدأ الجميع يجمعون الأحجار من الجبال حول مكة: جبل قبيس، وجبل حراء، وجبل خندمة، وجبل عمر... وغيرها، ثم بدأوا عملية البناء.

كان إبراهيم يبنى، وإسماعيل يناوله الحجارة، والرجال يأتون له بالأحجار، ويعدون له المونة، وهاجر تهيبى لهما وللرجال الطعام والشراب والجميع سعداء بما يعملون.

وكان الجميع يبنون، وهم ينادون ربهم:

﴿رَبَّنَا قَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

ارتفع بناء جدار الكعبة.. فاتوا لإبراهيم بحجر<sup>(١)</sup> صعد عليه، واستمر يقوم بالبناء، وإسماعيل يناوله، والرجال يحملون الأحجار من كل مكان، حتى وصل الارتفاع بين سبعة وتسعة أذرع.

نظر إبراهيم إلى البناء، فوجد فيه مكانًا فارغًا للبنة، فقال لإسماعيل:

- اذهب يا إسماعيل، فابغ لنا حجرًا، أجعله علامة للناس.

لكن إسماعيل طال به الوقت دون أن يحضر، فبعث الله جبريل إلى إبراهيم بحجر<sup>(٢)</sup> أعطاه له، ليكتمل بناء الكعبة.

وهكذا تم بناء الكعبة، وصعد إبراهيم، ونادى:

- أيها الناس.. كتب الله عليكم الحج إلى بيته فحجوا<sup>(٣)</sup>.

ولدهشة إبراهيم سمع أصواتًا تجيب:

(١) هذا الحجر هو الذى عرف بعد ذلك باسم مقام إبراهيم، وستحدث عنه بعد ذلك.

(٢) هذا الحجر يعرف اليوم بالحجر الأسود، وعنده يبدأ الطواف حول الكعبة.

(٣) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار.

- لبيك اللهم لبيك.

كم سعد إبراهيم وإسماعيل وهاجر وأهل مكة بما حققوه من طاعة الله ولرسوله إبراهيم، وكان هذا بداية مرحلة جديدة في تاريخ بناء الكعبة مما سيكون لها أثر على مجريات الأحداث بعد ذلك في مكة.

### \*\* الزمن التاريخي لهذه الأحداث:

لم يكن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة، ولكنه هو الذي رفع قواعدها. أما من هو أول من بنى الكعبة، فقد اختلفت الآراء: قال بعض الرواة: إن الملائكة هم أول من بنوا الكعبة، بنوا هذا البيت تحت البيت المعمور الذي في السماء، والذي يطوف حوله الملائكة.

وبعض الروايات تقول: إن آدم عليه السلام هو أول من بنى الكعبة، أمره الله بذلك، ليكون بيتًا يطوف حوله بنو البشر في الدنيا.

وفي روايات أخرى أن أول من بنى الكعبة هو شيث بن آدم عليهما السلام، كان ذلك حوالي سنة ٤٠٠٠ ق. م.

ثم كان البناء الذي رفع قواعد البيت في عهد إبراهيم عليه السلام.

وبدراسة حياة إبراهيم وإسماعيل، وكما قلنا أن مولد إسماعيل كان حوالي سنة ١٩١١ ق. م<sup>(١)</sup>، وأنه حين جاء مع أبيه وأمه إلى مكة، كان عمره عامًا أي سنة ١٩١٠ ق. م. ويمكن أن نقول.

إن بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة كان حوالي سنة ١٨٩٠ ق. م بعد أن اكتمل إسماعيل قوة وشبابًا.

وتتابعت بعد ذلك إعادة بناء الكعبة عدة مرات، فقد أعاد الجراهمة بناءها.

(١) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص ٥١.

## الْقَرِيَّاتُ اللَّتَا تَمَّى الْكُفَّارُ أَنْ يَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

وكان من أهم المرات التي أعيد فيها بناء الكعبة.. قبل ظهور الإسلام بحوالى ٥ سنوات. أى سنة ٦٠٥ م.

كانت الكعبة قد تهدمت بسبب ما أصابها من سيول الأمطار التي صدَّعت جدرانها، فاتفق رجال قريش بتزعمهم الوليد بن المغيرة على هدم الكعبة وإعادة بنائها<sup>(١)</sup>، وكان لمحمد ابن عبد الله موقف محمود، حين اختلف رجال قريش فيمن يضع الحجر الأسود في مكانه، فاحتكموا إلى محمد ﷺ الذي استطاع أن يرضى الرجال بحكمته، وجنَّب القوم شر القتال.

ولا ننسى ونحن بصدد الحديث عن الكعبة، محاولة أبرهة ملك الحبشة الذي جاء إلى مكة ليهدمها، فكانت نهايته، وكان فشل فيما أراد، وحسى الله الكعبة من أبرهة ورجاله رغم ما كان يملؤها من أصنام، اتخذها رجال قريش آلهة لهم!!

ثم كانت ضربات الحصين بن نمير للكعبة في عهد يزيد بن معاوية، حين تحصن بها عبد الله بن الزبير<sup>(٢)</sup>، ضربها الحصين بالمنجنيق وكرات النفط الملتهبة، فتهدمت واحترقت، فأعاد عبد الله بن الزبير بناء الكعبة سنة ٦٤ هـ، وعدل فيها بعض التعديلات، فارتفع بالباب الشرقى وسد الباب الغربى.

ولما تولى عبد الله بن مروان الخلافة، فكَّر أن يهدم الكعبة ويعيد بناءها على ما كانت عليه قبل الإسلام، ولكن العلماء ومنهم مالك بن أنس، نصحوه ألا يفعل، حتى لا تكون الكعبة فرصة يتلاعب بها الحكام.

واستمر اهتمام المسلمين بالكعبة على مدى العصور التاريخية، اهتم الأميين بن الرشيد بكسائها، واهتم بها حكام مصر في عهد محمد على، وأعيد ترميم الكعبة في عهد السلطان العثماني مراد الثانى سنة ١٠٤٠ هـ.

وحينما تولى السعوديون حكم الحجاز، كان اهتمامهم بالكعبة كبيراً خصوصاً فى

(١) راجع كتاب تاريخ الكعبة والمسجد الحرام فى عهد إبراهيم عليه السلام. للمؤلف: إصدار دار الفرقان.

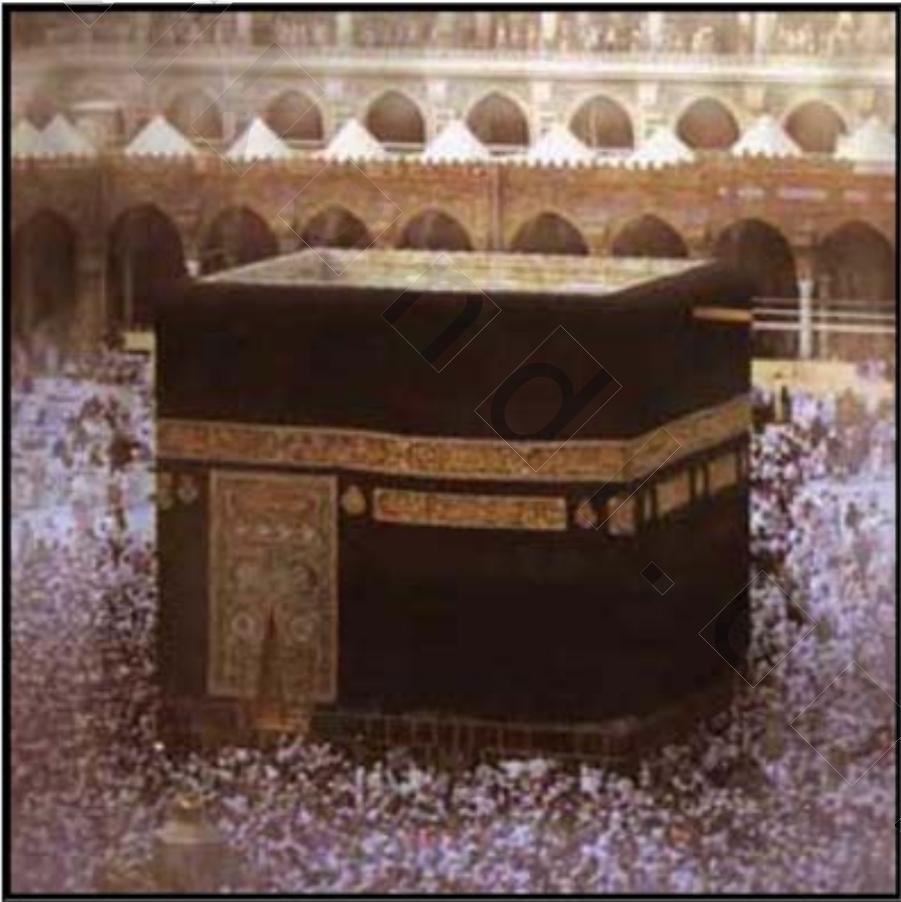
(٢) عبد الله بن الزبير، ابن السيدة أسماء بنت أبى بكر (نات النطاقين).

## قصص الأماكن في القرآن الكريم

عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد الذي أولى عناية خاصة بالكعبة والمسجد الحرام، ومما يذكره له التاريخ أنه في عهده تم ترميم الكعبة سنة ١٤١٧ هـ ترميمًا شاملاً، فيه تمت تقوية أساس الكعبة وصقل جدرانها وسد الفجوات بين الأحجار، وتم تغيير سقف الكعبة بسقفين جديدين. انظر صورة الكعبة

### \*\*موقع الكعبة:

تقع الكعبة المشرفة في مدينة مكة المكرمة، وهي إحدى المعالم الهامة في المدينة. وقد سبق أن ذكرنا موقع مكة الجغرافي والفلكي.



صورة للكعبة

\*\*\*\*\*

obeyikandi.com

## مقام إبراهيم

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

**\*\* قصة الأحداث التي وقعت في هذا المكان وتاريخها <sup>(١)</sup> :**

المقصود بمقام إبراهيم: موضع قدميه على الحجر الذي كان يقف عليه، وهو بينى الكعبة.

فحينما ارتفع بناء الكعبة عن قامة إبراهيم عليه السلام، كان عليه أن يعتلى جزءاً، ليكمل الجزء الأعلى من جدار الكعبة، فجاءوا له بحجر، اعتلاه، وكان يحركه من مكانه حيث يكون البناء، وكلما ارتفع البناء ارتفع الحجر، حتى انتهى إبراهيم عليه السلام من بناء الكعبة.

واضح على الحجر غوص قدمي إبراهيم عليه السلام فيه، وهو يقوم بالبناء.. حافياً غير منتعل، ويقال أن عمق إحدى القدمين في الحجر ١٠ سم، وعمق القدم الأخرى ٩ سم، وإن لم تظهر آثار أصابع القدمين، لأن المقام استمر مكشوفاً في العراء مدة طويلة، فانطمست معالم تفصيل الأصابع على مر الزمن وطوله، ولمس الأيدي له.

طول قدمي إبراهيم عليه السلام ٢٢ سم والعرض ١١ سم، مما يدل على أن إبراهيم عليه السلام كان طويل القامة.

و شاء الله أن يحفظ بصمة قدمي إبراهيم على هذا الحجر منذ بدء بناء الكعبة حتى وقتنا هذا، وخلال ما يقرب من ٤٠٠٠ سنة، دون غيره من الأنبياء. حفظه الله رغم تعرضه للسيول التي كثيراً ما كانت تجرفه معها، كما حدث في سيل أم نهشل، حينما جرف المقام بعيداً عن مكانه، فلما جف المطر، وجدوا المقام بأسفل مكة، فجاءوا به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووضعوه في مكانه.

(١) رأيت في هذه القصة أن أقرن الأحداث بأزماتها، لتعدد هذه الأحداث.

## الْقَرِيَّاتُ اللَّتَا تَمَّى الْكُفَّارُ أَوْ يَنْزِلُ الْقِرَاءُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

و شاء الله ألا يتخذ رجال قريش المقام أحد ألهتهم كما كانوا يفعلون في أحجار أخرى.

قال بعض الرواة: إن هذا الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة، واستدلوا على ذلك بحديث لرسول الله ﷺ أنه قال: ((الركن والمقام ياقوتان من يواقيت الجنة، ولولا أن الله طمس نورهما لأضاءتا ما بين الشرق والغرب))<sup>(١)</sup>.

تستحب الصلاة عند مقام إبراهيم لقوله تعالى:

﴿وَأَخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾ [البقرة: ١٢٥].

على أن يجعل المصلي المقام بينه وبين الكعبة، ولا يجوز المسح على المقام، أو تقبيله.

وكان أول من اقترح الصلاة عند مقام إبراهيم عمر بن الخطاب، فصدق الله بقوله تعالى:

﴿وَأَخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾ [البقرة: ١٢٥].

يعتبر مقام إبراهيم آية بينة من آيات الله، ومعجزة لإبراهيم عليه السلام. عنده يستجاب الدعاء.

وقد أقيم المقام على قاعدة من المرمر، مثبتة على قاعدة مربعة أخرى أكبر، طول ضلعها ١٣٦ سم.

فكر السعوديون مؤخرًا في إقامة حجرة للمقام. في مكان آخر بعيدًا عن حرم الطواف، حتى لا يعوق حركة الطوافين، فاقترح الشيخ الشعراوي رحمه الله وضعه في مكانه في مقصورة زجاجية، لا تأخذ حيزًا كبيرًا في دائرة الطواف، حتى لا تعوق الحركة. واستجاب العلماء، ووافقوا الشيخ الشعراوي على اقتراحه، وتم له ما أراد.

فوضع الحجر داخل غطاء من الزجاج الفاخر مع حاجز حديدي وقاعدة رخامية

(١) رواه ابن حبان ٣٧١٠، والسنن الكبرى للبيهقي ٧٥/٥.

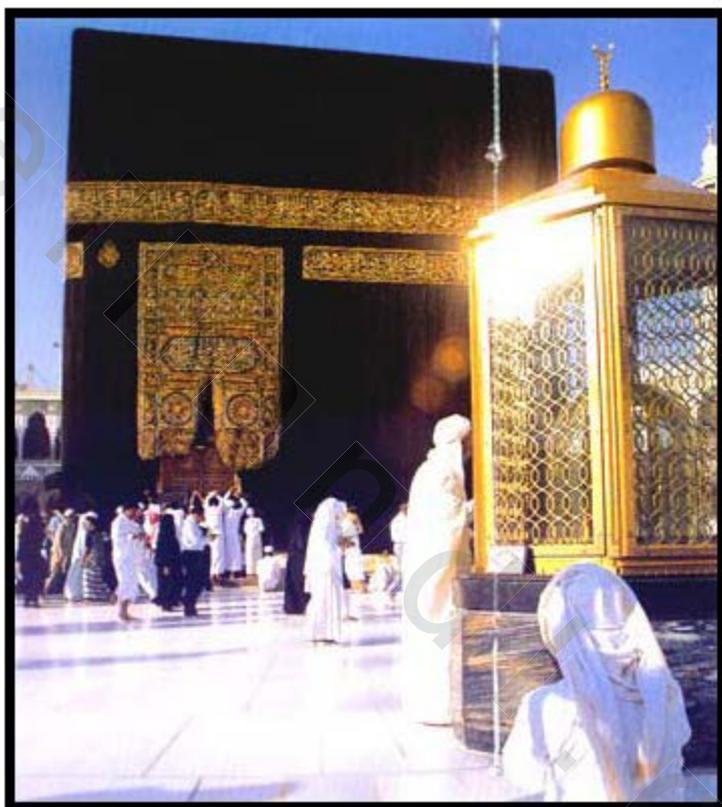
## قصص الأماكن في القرآن الكريم

٨٠ اسم × ٢٣٤ سم، بذلك قلت مساحة المكان الذي يعوق حركة الطواف. انظر الصورة.

### \*\*موقع مقام إبراهيم:

تقع مقصورة المقام على بعد ١٤ مترًا من الحجر الأسود، ١٤ مترًا من الركن

الشمالي.



صورة لمقصورة مقام إبراهيم في الوقت الحاضر

## المؤتفكات

### قرى قوم لوط

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ لِيَكُنَّ أَنْتَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [التوبة: ٧٠].

﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ الْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْحَاظِنَةِ ﴿٩﴾ ﴾ [الحاقة: ٩].

﴿ وَلَقَدْ أَنْوَا عَلَ الْقَرْيَةِ الَّتِي أَنْطَرْتَ مَطَرَ السَّوَى أَفَلَمْ يَكُونُوا يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَّبِعُونَ شُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٠].

﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَغَشَّيْنَا مَا عَشْنَى ﴿٥٤﴾ ﴾ [النجم: ٥٣ - ٥٤].

### \*\* قصة الأحداث التي وقعت في هذا المكان:

خرج إبراهيم عليه السلام من أرض أور بجنوب العراق، حيث كان يعيش، بعد أن تأمر عليه الملك النمرود والكفار، وحاولوا إحراقه، لكن الله جعل النار بردًا وسلامًا عليه. هاجر إبراهيم من أور أرض حاران في شمال العراق ومعه زوجته سارة، وابن أخيه لوط <sup>(١)</sup> الذي قال:

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَابِقِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الصافات: ٩٩].

في حاران مات أزر أبو إبراهيم كافرًا.

ثم اتجه موكب إبراهيم ومن آمنوا به من أرض حاران إلى بلاد الشام واستقروا في أرض الكنعانيين.

افترق لوط عن عمه إبراهيم في أرض الكنعانيين، حيث استقر فيها إبراهيم. بينما بعث الله لوطًا رسولاً إلى عدة قرى في جنوب الشام، سنذكرها فيما بعد.

(١) هو لوط بن هاران بن أزر بن ناحور.. ينتهي نسبه إلى نوح عليه السلام.



## الْقَرْيَتَانِ اللَّتَانِ تَمَّى الْكُفَّارُ أَنْ يَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

وطلب الملائكة من لوط والمؤمنين ألا يلتفتوا خلفهم، وأن يمضوا في طريقهم. وقبل أن يشرق فجر اليوم التالي.. سمع المؤمنون صيحة، فلم يلتفتوا خلفهم، إلا امرأة لوط، فقد التفتت خلفها، فأصابها الصاعقة، وماتت على كفرها. رفع جبريل قري قوم لوط على جناحه، وقلبها.. جعل أعاليها أسفلها، وأسفلها أعاليها.. تفككت وانقلبت، فسميت هذه القري كما ذكرها القرآن الكريم بالمؤتفكات.

### \*\* زمن هذه الأحداث :

من خلال الدراسة لتاريخ الأنبياء، قال الرواة: إن الفترة التي عاشها لوط كانت من سنة ١٩٥٠ ق. م إلى سنة ١٨٩٠ ق. م وأن نبوة لوط كانت سنة ١٩٠٠ ق. م. .. هذه الأحداث وقعت حوالى سنة ١٨٩٥ ق. م إلى سنة ١٨٧٠ ق. م، وقد توفى لوط ودفن في صوغر<sup>(١)</sup>.

### \*\* موقع مكان هذه القري :

ذكرنا أن لوطاً ترك عمه إبراهيم، واتجه إلى جنوب الشام حيث كانت توجد قري سدوم وعمورة وصوغر بالإضافة إلى قرية أخرى اسمها عظمى وهى التى عناها القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُوطًا الْفَرِيقَ الَّذِي نَمُطِرُ السَّوَاءَ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَكُونُونَ بِهَا بِرًا ۗ إِنَّ لَاحِظِينَ كَيْفَ يُعْرَبُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٠].

تقع هذه القري جنوب البحر الميت الذى كان يعرف باسم بحر لوط، تحيط بها عدة دويلات صغيرة: المزابيون والعمونيون فى الشرق، والكنعانيون فى الغرب، ثم مملكة أدوم فى الجنوب.

وهنا يجب أن نذكر حقيقة هامة، وهى أن بعض المؤرخين قالوا: إن منخفض البحر الميت حدث أثناء عقاب قوم لوط.

\* \* \* \* \*

(١) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص ٥١.

## الجب

### الذي ألقى فيه أبناء يعقوب أخاهم يوسف

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْنَلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ قَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يوسف: ١٠].

#### \*\* قصة الأحداث التي وقعت في هذا المكان:

حدد أبناء يعقوب <sup>(١)</sup> على أخيه يوسف <sup>(٢)</sup>، لما يناله من مزيد الحب والاعتزاز من أبيه، واشتد حقدهم وغضبهم عليه حينما علموا بما راه في حلمه، وأنه سيكون خليفة أبيه في النبوة.

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [يوسف: ٤].

تأمر أبناء يعقوب <sup>(٣)</sup> على أخيه يوسف، للخلاص منه؛ ليخلو لهم وجه أبيهم.

استطاعوا أن يقنعوا أباهم أن يأخذوا معهم أخاهم يوسف، يلعب معهم في مراعيهم، وتعهدوا لأبيهم بالحفاظ عليه من كل سوء، ورغم مخاوف يعقوب على ابنه يوسف، إلا أنه وافقهم على ما أرادوه، إنها مشيئة الله لحكمة أرادها، ولقدر قدره في سجلات الخلود، بعد أن تعهدوا لأبيهم بالمحافظة عليه، وعدم تعرضه للأخطار، وإعادتهم إليه سليماً، سعيداً برحلته معهم.

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

(٢) يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، قال عنه رسول الله: ((الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم)).

(٣) وأبناء يعقوب هم: راؤوبين، شمعون، لاوي، يهوذا، يساكر، زبولون، دان، نفتالي، جاد، أشير بالإضافة إلى يوسف وأخيه الأصغر بنيامين.

## الْقَرِيَّتَانِ اللَّتَانِ تَمَّتْ الْكُفْرَانُ يُنْزَلُ الْقِرَاءُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

اصطحب أبناء يعقوب أخاهم يوسف معهم، وكان سعيدًا، بعد أن ألبسه أبوه قميصًا جديدًا، وأعطاه زادًا من الطعام والشراب، وزوده بكثير من النصائح والوصايا الطيبة.

كان أبناء يعقوب يعيشون في شمال ييوس<sup>(١)</sup> (أورشليم) وكانت مراعى ومزرعة يعقوب في منطقة قرب شكيم (نابلس الحالية).

ومعنى هذا أن المنطقة التي نحن بصدد الحديث عنها، تقع بين ييوس وشكيم، أى بين القدس ونابلس (حاليًا).

مضى يوسف في الطريق مع إخوته سعيدًا بصحبتهم، وهو يمتنى نفسه برحلة ممتعة، وهم يظهرون له المودة والحب، ويلبثون ما يطلبه، ويضاحكونه ويبتسمون فى وجهه، بينما كانت قلوبهم مليئة حقًا وحسدًا عليه.

حتى إذا ابتعدوا عن ديارهم، واقتربوا من مزرعتهم ومراعيهم.. نزعوا عن يوسف زاده، وسبوه، ولطموه على وجهه، وكانوا يستهزئون به، يدعونه: صاحب الأحلام.

تشاور أبناء يعقوب، واتفقوا على الخلاص من يوسف، حتى انتهوا إلى إلقائه فى الجب.

خلع أبناء يعقوب عن يوسف قميصه، لم يرحموا بكاءه وآلامه، وألقوه فى الجب.. تشبث يوسف بشفير الجب، يحاول أن يخرج منه، فكان إخوته يضربونه على يديه، حتى سقط داخل الجب.

ترك أبناء يعقوب أخاهم يوسف وحيدًا فى الجب يستغيث بهم دون أن ينقذه أحد، لأن الحقد والكراهية قد تحكمتا فى قلوبهم، نسوا أخوتهم ليوسف، وذبحوا شاة، ولطخوا بدمائها قميص يوسف، وعادوا إلى أبيهم فى المساء، زاعمين أن

(١) ييوس: كانت عاصمة اليبوسيين سكان فلسطين الأصليين.

الذئب أكل يوسف، قالوا لأبيهم كلامًا زورًا:

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يوسف: ١٧].

وبقى يوسف في الجب، حتى أنقذه الله، وأرسل إليه بعض السيارة (المارين)، فالتقطوه، وباعوه لرجال قافلة كانت في طريقها إلى مصر، وليكون لنا معه لقاء آخر في مكان آخر.

### \*\* الزمن التاريخي لهذه الأحداث:

معروف أن يوسف عاش في الفترة من حوالي سنة ١٧٠٠ ق.م إلى سنة ١٦٠٠ ق.م<sup>(١)</sup>.

وكانت الظروف التاريخية التي ولد فيها يوسف بعيدة عن أرض فلسطين، فقد شب النزاع بين يعقوب وأخيه عيسو، كل منهما ادعى البكورة، فلما اعترف إسحاق ببكورة يعقوب، خشي من انتقام أخيه، وهرب يعقوب إلى أرض فدان أرام بشمال العراق عند خاله لابان، وهناك تزوج ابنتي خاله راحيل وليا، وأنجب في غربته منهما ومن جاريتين لهما أحد عشر ولدًا.. وحينما رجع يعقوب إلى أرض أبيه في فلسطين.. كانت زوجته راحيل حاملاً، وفي منطقة أفرات (بيت لحم)<sup>(٢)</sup>، وضعت راحيل ابناً بنيامين أصغر أبناء يعقوب وشقيق يوسف، وماتت راحيل، فدفنها يعقوب، ومضى إلى أرض أبيه في ييوس.

ولأن أم يوسف وبنيامين كانت أكثر قرباً إلى قلب يعقوب، ولأنها توفيت، فقد كان بنيامين ويوسف يحظيان بمزيد من حب وإعزاز أبيهم يعقوب، مما دفع أبناء يعقوب إلى الرغبة في التخلص من يوسف.

معروف أن يوسف حينما ألقاه إخوته في الجب، كان عمره حوالي ٨ سنوات، أي

(١) وفقاً لترتيب أحداث قصة يوسف وربطها بأحداث تاريخ مصر القديم.

(٢) أفرات أو بيت لحم: هي المدينة التي وضعت فيها مريم ابناً المسيح عيسى عليه السلام.

## القريتان اللتان تممى الكفار أن ينزل القرآن على أحد عظيمهما

أن هذه الأحداث وقعت حوالى سنة ٦٦٩٢ ق. م.

### **\*\*موقع هذا المكان:**

واضح من خلال الأحداث التاريخية أن الجب الذى ألقى فيه أبناء يعقوب أخاهم يوسف كان فى المنطقة بين شكيم وبيوس.

هذه المنطقة سياسيًا تتبع الآن الدولة الفلسطينية، وهى منطقة سهلية، تقع فى سفوح منطقة هضبية، وإليها تتحدر بعض النهيرات مثل نهر الفارعة.

هذه المنطقة تنتمى مناخيًا إلى مناخ البحر الأبيض المعروف باعتداله وأمطاره فى الشتاء، وحرارته الصيفية.

\*\*\*\*\*